



الحياة لفظ جامع لكل فضيله، مانع عن كل رذيلة، وهو يدفع صاحبه إلى الخير ويعصمه من الشر، إلا ترى أن الإنسان بهم أن يأتي بالمنكر ولكنه ما يكاد يهم حتى تنازعه نفسه، فلا يكاد يقبل حتى يدبر، ولا يكاد يخطو حتى يغلبه الحياة ويعود إلى عقله.

وما ذهب ماء الحياة عن وجه إنسان إلا كسته العيوب، وارتكب المآثم وغرق في المعاصي، واستخف بالدين، ولم يبال حتى بالناس، فلا وازع له من دين ولا رادع له من خلق، ولا تنفع فيه موعظة، ولا تجدي فيه نصيحة ولا يستجيب إلا لهواه، ولا ينقاد إلا لشهواته قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "الحياة كله خير" أخرجه مسلم

فالحياة زينة يتزين بها الإنسان الصالح سواءً أكان رجلاً أم امرأة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال "إن موسى كان رجلاً حبيباً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه" البخاري.

فالحياة خلق كريم أمرنا به النبي - صلى الله عليه وسلم - وتصف به الأنبياء فعن أبي سعيد الخدري **كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم** أشد حياة من العزراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.

وليس ذلك مما استحدثه الإسلام بل إنه من أصول رسالات الأنبياء جميعاً، ففي صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستطع فاصنع ما شئت" البخاري

والمقصود أن الحياة لم يزل مستحسناً في شرائع الأنبياء جميعاً وأنه لم ينسخ، فهو خلق كريم في كل أوان وزمان، ويجب أن يتصف به جميع الخلق لأن زينة للإنسان ورفعه ل شأنه.

قال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الشريف "إن ربكم تبارك وتعالى حبيّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صفرًا" أخرجه أصحاب السنن

فكل هذه الأحاديث التي تدل على أن الحياة صفة من صفات الله عز وجل وخلق كريم اتصف به أنبياؤه صلوات الله عليهم وسلم، فأولى الناس باتباع هذا الخلق هم المسلمون.

والحياة إما من الناس وإما حياة من النفس أو حياة من الله وهو أعظمهم وأفضلهم، جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "استحیوا من الله عز وجل حق الحياة" فقيل يا رسول الله كيف نستحی من الله عز وجل حق الحياة قال: "من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وترك الحياة الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحی من الله حق الحياة" أخرجه الترمذی.

إذا فالحياة طريق من الطرق الموصولة لتقوى الله فإذا الإنسان راقب الله في كل أقواله وأفعاله وأصبح كل همه إرضاؤه عز وجل ارتفع قدره بين الناس واتخذوه قدوة حسنة.

قال الماوردي عن نفسه: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام ذات ليله فقلت يا رسول الله أوصني، فقال: استحی من الله عز وجل حق الحياة، ثم قال: تغير الناس، فقلت وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كنت أنظر إلى الصبي فأرى من وجهه البشر والحياة، وأنا أنظر إليه اليوم فلا أرى ذلك في وجهه.

والحياة من الله يكون بامتثال أوامرها والكف عن زواجره، قيل لعمر بن عبد العزيز: إذا ذهب الحياة ذهب نصف الدين قال: لا بل إذا ذهب الحياة ذهب الدين كله.

وأما الحياة من الناس فيكون بكاف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح، روى في الآخر أنه: من تقوى الله إنقاء الناس.

وأما الحياة من النفس فيكون بالعلفة وصيانته الخلوات، قال بعض العلماء: من عمل في السر عملاً يستحب منه في العلانية وليس لنفسه عنده قدر.

فالحياة خلق كريم يبعث على فعل كل مليح وترك كل قبيح فهو من صفات النفس المحمودة، وهو رأس مكارم الأخلاق، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم -: "إن لكل دين خلفاً وخلق الإسلام الحياة" ابن ماجة ورغم كل هذه الأدلة على أهمية الحياة إلا أن كثيراً من الناس تخلوا عنه بل أصبح في زماننا هذا شيئاً نادر الوجود.

فالواقع الذي نعيشه فيه صور محزنه ومؤلمه من التخلي عن الحياة، هذه الصور تهدد حياتنا مالم يتحرك الغيورون مما للتغييرها، ومن هذه الصور قلة احترام الوالدين ورفع الصوت عليهم.

ومنها عدم احترام المعلمين والمعلمات وترك الأدب معهم والاستهانة بتوجيهاتهم، وهذه من أسباب تدني التعليم في مجتمعنا، بل أصبح الكثير لا يحترمون حق الآخرين في تنفس الهواء النقي وذلك بالتدخين العام وما يسببه للمدخن ولمن بجانبه، فالتدخين معصية يزيد قبحها بالمجاهرة بها، فقد ثبت في الصحيح: قوله - صلى الله عليه وسلم - "كل أمتي معافي إلا المجاهرون" البخاري

ومن أبغض صور قلة الحياة تفشي العري بين النساء في المجتمع وظهور بعضهن بملابس فاضحة خلية وخروجهن بملابس ضيقة خلية، ولا يوجد من يعظهن من أب أو أم، قال - صلى الله عليه وسلم - "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤوله عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته" البخاري.

وبحسب حياة القلب يكون الحياة، وقلة الحياة من علامات موت القلب والروح.

ومع أن الحياة كلها خير إلا أنه إذا منع صاحبه من طلب العلم أو منعه من الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر فهو مذموم، قالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياة أن يتقدمن في الدين"

المسلم

المصادر: